				أنظمتها.
٠٣	م. الخمسة	لم يذكرها	لم يذكرها كصنف	اعتبرها من لواحق مدينة القلة.
٠٤	م. الكرامة	م. الكرامة (الثانية)	م. الكرامة (الثانية)	توافق
٠٥	م. التغلب	م. التغلب (الرابعة)	لم يذكرها كصنف	اعتبرها من لواحق م. القلة
٠٦	م. الجماعية	م. الجماعية (الثالثة)	م. الجماعية (الثالثة)	توافق.
٠٧	لم يذكرها	لم يذكرها	م. وحداني التسلط (الرابعة)	تفرد بذكر هذا النوع ابن رشد، لأنه عايشه.
٠٨	لم يذكرها مستقلة	م. الإمامية (الأولى)	لم يذكرها مستقلة	الإمامية من الأفعال فقط

المبحث الثاني

النظرية التربوية في المشروع الرشدي

يرتبط نشوء أي نظام سياسي جديد بفلسفة التّربية، لأن لكل حكم طبيعته الخاصة التي تفرض وجود نوع من التربية تعمل على تدعيم السلطة والحفاظ على إيديولوجيتها. والمسألة التربوية منذ القدم اعتبرت جوهر الصراع بين القوى التي تحلم بالسلطة وتأسيس الدول والمدن. ذلك أن كل نظام سياسي جديد إلا ويعتبر من سبقه

من الأنظمة نظام فاسد، وعليه فإن أغلب الأسئلة تتمحور حول فكرة واحدة: كيف يتم الانتقال من نظام راهن فاسد إلى نظام مستقبلي صالح ؟؟.

إن ابن رشد حين درس المجتمع الإسلامي يستنتج من خلال الممارسة السياسية أن الحكم في أغلب المدن والمماليك الإسلامية فاسد لارتباطه بنظام البيوتات والأسر. ومن جهة أخرى لارتباطه بنواميس الحالة الأولى. ومنه يصبح التغير مسألة ضرورية، وإذا كان ابن رشد حدد النموذج السياسي الفاضل من خلال الجمع بين التصور الأفلاطوني للمدينة والنسق الأرسطي للعلم المدني وبين النماذج الراشدة للحكم الإسلامي في عهده الأول، فإن مسألة الانتقال من حكم المدن الجاهلة والضالة إلى نظم المدينة الفاضلة يحتاج أول الأمر إلى إعداد المواطن الذي تتحقق فيه ومعه المدينة الفاضلة. لكن السؤال: كيف؟

جاء في الأثر: "كما تكونوا يولى عليكم"(١). والكينونة المقصودة هي كينونة التربية والتنشئة، ولقد تفطن المنظر السياسي منذ القدم إلى ضرورة ارتباط فلسفة التغيير بفلسفة التربية، لأن كل نظام سياسي يفرض منظومة تربوية تتناسب طردا مع إيديولوجية النظام.

من خلال ما سبق تصبح المسلمة التالية فعلية: "لا يمكن قيام مدينة فاضلة دون منظومة تربوية." غير أن الواقع العملي والبعد النظري يعكس جملة من الصعوبات تعترض المنظر السياسي الذي يكون غالبا متوحدا على رأي ابن باجة. وهذا يعني أن تغير النظام التربوي داخل المجتمع صعب من حيث الممارسة باعتبار أن النظام القائم هو المسيطر على آلياته وأطره. وبما أن سلطة الحاكم تكمن في جوهر المضمون التربوي فإنه من الصعب أن تسمح الرقابة والوصاية بتغير المضمون التربوي دون علم الحاكم، ومن جهة أخرى أن الرعية اعتادت على ما هو مألوف فمن الصعب أن تتقبل نظاماً

---

(١) البعض يعتبره حديثا نبويا، والبعض وصنعه ضمن الأقوال المأثورة.

تربويا جديدا مجهول العواقب والنتائج. من هنا كانت أزمة المدينة الفاضلة على مر حقب التاريخ السياسي، إن أفلاطون وجد نفسه في مأزق عندما بدأ حديثه عن التربية، فمدينته الجديدة يرفضها النظام القائم ومن ثمة كان المحاور له يطرح جملة من التساؤلات: من يتكفل بالتربية؟ وأين (المكان)؟ وهل يمكن مع وجود نظام سياسي يعتبره أفلاطون نظاما فاسدا؟

١- التربية من مهام الدولة

إن أفلاطون لم يجد جوابا مقنعا لمسألة المكان والنظام، لذا افترض في حالة وجود حاكم مُحب للفلسفة والفضيلة، أن يتقدم إليه الحكماء المؤمنون بقيام المدينة الفاضلة فيطلبون منه السماح لهم بانتقاء أطفال من القرى لتربيتهم تربية تؤهلهم لتأسيس المدينة الجديدة: " ينبغي عليهم أن يدفعوا بكل من تجاوزوا سن العاشرة في المدينة إلى الحقول، ثم يأخذون أطفالهم ليحموهم من العادات الأخلاقية الشائعة لدى آبائهم، ويربونهم وفقا لأخلاقهم ومبادئهم الخاصة"(١).

إن أفلاطون يقصى في مشروعه السياسي المواطن القديم، إنّه يراهن على مواطن جديد تربى منذ صغره تربية فاضلة، إن المدينة الفاضلة ينبغي أن تنطلق من نقطة الصفر ونقصد بذلك أنها مدينة تفرض على معتنقها المرحلية في التأسيس، فأول مرحلة تكمن في إيجاد أطفال موهوبين لتربيتهم وفق ما تقتضيه التربية الفاضلة حتى إذا اكتمل نضجهم وبلغوا مرتبة الكمال الإنساني سعوا هم أنفسهم لتأسيس مدينتهم الفاضلة.

إن أفلاطون عندما يقصي البالغ من مشروعه السياسي ويركز على الطفل، ينطلق من القاعدة العملية التي تؤكد أن من تربى يعسر إعادة تربيته من جديد،

---

(١) أفلاطون، الجمهورية، ص ٣٥٤.

لأنه شب على نمط من السلوك والثقافة يستحيل في أغلب الأحيان تجريده منه. لكن الطفل يكون كالورقة البيضاء قابلة للطي كما نشاء والكتابة كما نريد.

من حيث التصور النظري يتفق ابن رشد مع أفلاطون حول مسألة ضرورة الاعتماد على منظومة تربوية ترتكز على عنصر الأطفال مستقلة من حيث مضمونها عن المألوف الاجتماعي.لأن استمرار النظام السياسي مرتبط بمدى الولاء له وقوة روح الانتماء، وبالتالي أن الطفل الذي ربي منذ صغره على الفضيلة يكون أفضل حارس وحافظ لها.

ونحن نرى اليوم أن الصراع داخل الدولة الواحدة هو صراع حول المنظومات التربوية، فكل حرب إلا وله رؤية مستقلة في مسألة التربية والتعليم. ولقد تعدى الصراع المستوى المحلي ليصبح دوليا،فلقد طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من الدول الإسلامية تغيير منظوماتها التربوية من منطلق كونها منظومات تنشأ الإرهاب.

إن المشروع الرشدي من خلال تلخيصه لكتاب السياسية لأفلاطون يسعى إلى تكوين مواطن كامل، بحيث ينبغي أن توضع لكل مرحلة من مراحل نموه برنامج تربوي يتناسب وقدراته الذهنية والجسدية.

وقبل التطرق إلى مسألة التربية نلاحظ أن ابن رشد ينطلق من نفس فكرة أفلاطون التي تلزم الدولة مسؤولية التربية لكونها الوحيدة المؤهلة لذلك، وبما أن أفلاطون يجزم بعدم تعدد المهام والوظائف فإنه ينبغي سحب مهمة التربية والتعليم من الأسرة، التي يرفض وجودها أفلاطون أصلا في حكومته المستقبلية.

لكن لما الدولة بالذّات ؟؟

إن الدولة تمتلك السلطة المعنوية والاعتبارية، وتهيمن على كافة المؤسسات التي تحتاجها عملية التربية. ومن جهة أخرى حتى لا تتعارض إيديولوجية المدينة مع المضمون الفكري للبرنامج التربوي. كما أن وحدة المدينة باعتبارها من الغايات الكبرى تقتضي توحيد طرق التربية ومضامينها.

ولقد أكد الفارابي في السياسة المدنية أن النوابت ينشأون في المدينة لكونهم لم يربوا تربية كاملة، ولذا اعتقد ابن رشد أن الانحراف يكمن في عدم التكوين الجيد.

وضرورة حضور وتكفل الدولة بالتربية يرتبط بمسألة الاختيار والانتقاء، فالأطفال ينبغي اختبار معدنهم منذ بداية تكوينهم ليوجهوا حسب طبيعة كل واحد منهم للمهمة المناسبة له.

إن الأسرة لو قامت بمهمة التربية ستكون النتيجة تعدد طرائق التربية، وبالتالي اختلاف في أنماطها وغايتها. ويحدث التباين في رجالات المدينة لكون كل أسرة تختار نوعا من التربية يتماشى مع حالها الاقتصادي والثقافي. عندئذ تضعف الدولة ولا تقدر على رسم استراتيجية المستقبل، وعوض أن تكون وحدة متناغمة تصبح منقسمة على ذاتها عندها يسهل احتلالها من قبل المدن المضادة أو أن يتولى حكمها النوابت الذين يحولونها إلى طبائع غير ما هي عليه من الفضيلة.

وبما أن صيرورة المدينة الفاضلة وسيرورتها ترتبط بمدى شيوع الفضائل في نفوس المواطنين فإن الدولة ينبغي أن تكون حاضرة في عملية التربية من خلال الرقابة.

إن ابن رشد يدرك كفقيه أن الإسلام في صدره الأول جعل التربية مهمة الدولة، وتخضع للرقابة، وأن لا يُعهد للعمل التربوي إلا من كان مؤهلا له أصلا.

وإخوان الصفاء في رسائلهم جعلوا التربية والتعليم من مهام الدولة والإمام، لكي يحافظوا على التراتب في مدارج المواطنة وضبط الأدوار في دولة الخير الجديدة.

والفارابي نفسه يرى ضرورة قيام الدولة بالتربية والتعليم وفق وصاية الإمام أو الفيلسوف أو النبي، حتى تكون المدينة من حيث بنائها كالبنيان المرصوص أو كالجسد الواحد. ويذهب الفارابي إلى أن وجود منهاج تربوي موازٍ في المدينة يعد خطرا على المدينة الفاضلة لكونه سينتج فصيلة النوابت التي إن لم يفصل في أمرها ساعة نشوئها كان مصير المدينة التحول والتبدل على غير الحال التي هي عليه من الصلاح والفضيلة.

ولم يخرج عن هذه القاعدة من فلاسفة الإسلام إلا ابن باجة الذي ربط التربية بشخصية المتوحد الذي ينفر من نظام المدن ومجتمع الجماعة، ولقد سايره في ذلك ابن طفيل عندما ضرب مثل حي بن يقظان على نجاعة التربية الشخصية بعيدا عن رقابة الدولة.

٢- امتناع المدينة الفاضلة لامتناع فئة الفلاسفة

ومن هنا تصبح الدولة ملزمة بتحديد الغايات من التربية قبل إعداد البرنامج أصلا لأن السؤال الرشدي تبلور حول الاستفهام التالي: لما يمتنع قيام المدينة ؟؟

إن صعوبة قيام المدينة الفاضلة لا يعود إلى البنية النظرية وإنما يعود إلى امتناع وجود الفئة المفكرة والمربية، ومن ناحية ثانية أن ابن رشد يرى امتناع المدينة يعود إلى نوع التعليم المبرمج أصلا.

فالتربية في المدن الأندلسية مبنية على غايات توفير المأكل والمنكوح، والاستعداد للحرب لتحصيل الأمجاد والألقاب، وامتلاك الدنيا وبذلك فإن سلطة المدينة تؤسس بنفسها أسباب سقوط وانحطاط مدينتها.

إن ابن رشد يعتقد أن تكوين النخبة المفكرة هو أصعب أمر في مشروع المدينة، ذلك أن تكوين الحراس والحفظة ممكن. غير أن تكوين فئة الفلاسفة هو الذي يمتنع لامتناع إدراك الغاية من وجود الإنسان أصلا: "فقد يجب أن نرجع إلى نوع التعليم المناسب لهذا الصنف من أهل هذه المدينة(المدينة المزمع تحقيقها)الذي هم النوع الرئيس فيها. ولا سبيل إلى الوقوف على النهج القويم لتعليم هؤلاء، وتربيتهم إلا بمعرفة الغاية التي ينبغي أن يتوخاها هذا النوع من الناس في سياستهم"(١).

---

(١) الضروري في السياسة ، ص١٤٢.

(*) العلل الأرسطية هي: العلة الصورية، العلة المادية، والعلة الغائية، والعلة الأولى.

وابن رشد ينفرد برأي خاص به نلاحظه من خلال عبارته (ونحن نرى)يتمثل في يقينه أنه قبل إعداد المنظومة التربوية التي تليق بأهل المدينة الفاضلة يجب تحديد الغاية أولا من التربية. لأن تحديد الغايات هو ضبط لأحد أهم علل الوجود [العلة الغائية]. ابن رشد يستعين بأرسطو الذي يربط كل موضوع في الوجود ينبغي أن يُنظر إليه من خلال العلل الأربعة.

والتأكيد الرشدي على ربط التربية بالغاية نستشفه من خلال قولة التالي: "ونحن نرى أن معرفة هذا الأمر لازمة ابتداء، ليغدو في إمكاننا بعد ذلك أن نقول في شيئ مما يستعملونه، لأن من لا يعرف الغاية التي ينشدها فهو بالضرورة لا يقدر أن يعرف ما سينتهي إليه"(١).

إن هذا التوجه الرشدي نحو تحديد الغاية من المدينة والتعليم مستنبط من من فلسفة لأرسطو، وكذا مقاصد الشريعة الإسلامية التي تربط وجود الإنسان بغاية كبرى حددها الله في الاستخلاف الذي هو بالضرورة تعمير المعمورة والسعي إلى الخير وعبادة الله الذي هو الخير الأسمى.

لهذا فإن الغاية من التربية أصلا هو قيام المدينة، والغاية من قيام المدينة هو الوصول إلى السعادة القصوى التي يجدها الإنسان فقط عندما يصل إلى الكمال.

ونحن بصدد استجلاء مضامين النظرية التربوية الرشدية يجب أن نلتزم بتحليل كل الأبعاد المصاحبة للمشروع، وأُولى تلك الأبعاد معرفة القواعد الإبستيمولوجية التي تُسيج نظريته في التربية.لكون النظرية غير مفصولة عن كل ما هو وضعي وموضوعي، ما هو علمي وإيديولوجي، ما هو منطوق وغير منطوق.

اولا: القواعد الابستيمية لنظرية التربية عند ابن رشد

ينطلق ابن رشد من منطق الشريعة القائل بأولوية العمل على العلم من حيث الترتيب لا من حيث الدرجة، أي أن ابن رشد ينطلق من قاعدة: اعمل ثم أعلم لأن

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤٢.

تربية الأحداث تتطلب العمل وهو نفسه الرأي الذي ذهب إليه أرسطو في قوله: "إن أكد وسيلة للحصول على هذا الأصل التام إنما هو العلم بما هو العمل الخاص للإنسان"(١).

لأن الصبي يكون مستعدا لتقبل الأفعال أكثر من تقبل الآراء لارتباطه بالأنا الجسماني والاجتماعي.وعلى هذا الأساس حاول ابن رشد أن يحدد ثلاثة شروط لنظرية التربية.

١- تربية الملكات ضمن مجال الحد الأوسط

كل نظرية تربوية إلا وترتبط بسياجها المعرفي الخاص ونسقها الفلسفي. ونظرية ابن رشد ترتكز على الشرط لكون التربية تخضع لقانون ومنهج متكامل. والفضائل المزمع تربية الطفل عليها تخضع لجملة من الشروط، بحيث ينبغي لهذه الشروط في حالة وجودها أن تفعل، أي أن تخرج من منطق ما ينبغي أن يكون إلى منطق ما هو كائن.

فالشجاعة كفضيلة ينبغي عند تربية الحدث أن تظهر في سلوكه كممارسة وعمل مشروطة بعدم التهور ولا الجبن. عندها تصبح الفضيلة هي ذلك الوسط بين نقيضين، وبما أن أهل المدينة الفاضلة فضلاء بالتربية ينبغي أن يكون التوسط في الأفعال والأقوال مبدءا عاما وشاملا.

يريد ابن رشد أن يخضع الفعل التربوي لمعادلة رياضية حتى يكون الفعل بعدها رياضيا كذلك وعلى سبيل المثال لنلاحظ ملكة الشجاعة: "إنها صفة تحصل في النفس تقع بين التهور والجبن، وهي ملكة بها يصير الإنسان شجاعا حيث يجب، وبالمقدار الذي يجب، والوقت الذي يجب"(٢).

---

(١) أرسطو، علم الأخلاق، ترجمة: أحمد لطفي السّيد، ج ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ص١٩٣.

(٢) الضروري في السياسة ، ص ٧٨.

إن التربية عند ابن رشد تهدف أول الأمر إلى ترسيخ الملكات التي بها يحصل الكمال لاحقا ولا يتم بالتحكم الرياضي في الصفة التي هي بطبيعة الحال تتحول إلى فعل (Action) ومن ثمة وجب تعقيل الفعل بثلاث حركات:

أ -اقتران الفعل بشروط حدوثه من حيث الوجوب العقلي والشرعي، فلا شجاعة في أمره لا يقره العقل والشرع والغاية الإنسانية الشاملة.

ب - اقتران الفعل بالكم الذي يتم به، فلا إفراط في الفعل حيث يكون قليله كاف لإنجازه ولا تفريط فيه إذا كان تمامه في كثيره. أي أن العملية التربوية تسعى إلى تربية المواطن الجديد على ضبطه فعله. لأن الغاية من ضبط الفعل ضمن مجال الوسط الذهبي يحقق مقاصد الإسلام.

ج - اقتران الفعل بالوقت المناسب له فلا يصح فعل في غير آوانه، فالشجاعة كمثال تكون في كثير من الأوقات مهلكة، والجود في كثير من المناسبات مفقرا. وعليه ينبغي أن يربى الطفل باعتباره حافظ المدينة مستقبلا على معرفة الأوقات المناسبة للفعل حتى لا تنقلب نتائجه عليه.

ومن خلال تلك الشروط تستنتج أن ابن رشد يرفض فكرة دع الطبيعة والسجية تفعل فعلها بل يذهب إلى منطق تقنين فعل الإنسان.

والنظريات المعاصرة في التربية والتعليم تحاول فعلا أن تربط عملية التعليم بالشروط المصاحبة للفعل، والتي حدها ابن رشد انطلاقا من آراء أرسطو.

وابن رشد يرى أنّه في حالة عدم تقيد الفعل بشروطه الجزئية فإنّه من الحتمي أن لا يصيرا عملا: "إلا أن هذا الحد [يقصد الشجاعة كمثال] يحتاج إلى أن يقترن حيث العمل بشرائط جزئية خاصة لا بد منها، وإلا تعذر العمل، لأن القصد في هذا العلم إنما هو كما قال أرسطو: أن يعمل لا أن يعلم"(١).

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٨.

٢- العلم بالكيفيات

إن الفعل كم وكيف، فإذا حدث كان الكم يُعرف من خلال عملية التقدير السابقة فإن الكيف يخضع لقاعدة ابستيمية أخرى تتمثل أساسا في حركتين:

أولا: العلم بالكيفية التي ترسخ بها الفعل كملكة وصفة دائمة، وتكون في أغلب الأحيان إما بفعل المحاكاة أو التكرار، وفي كلتي الحالتين يكون التدرج في التربية شرط أساسي.

ثانيا: العلم بالكيفية التي يحافظ عليها به بعد حصول الكمال، لأن كثير من الملكات تصبح مهجورة إذا لم يستطع الحافظ بعد عملية التربية المحافظة عليها. ولعل أشهر طريقة للمحافظة عليها تكمن في عملية التذكر وإحياء العادات الفاضلة.

ومن ناحية أخرى لا بد للمربي أن يربي المتعلم على أسلوب إزالة الرذائل من النفس التي علقت بفعل الهوى والطبع، والميل إلى السير مع المألوف والرغبة في فعل الممنوع والمحظور.

٣- العلم بمراتب الملكات

ليس الهدف من التربية الحصول على أكبر عدد ممكن من الفضائل والملكات، بل الغاية منه العلم بمراتب الملكات والقدرة على معرفة أيّ الملكات إذا حصلت لم تعيق غيرها من الوصول إلى الكمال[١]. أو معرفة أيّ الملكات يتقدم وجودها على غيرها أو يتأخر، إنّها قاعدة مستقاة من ظاهرة الطب، إذ أن الطبيب الحاذق هو الذي يعرف في حالة العِلّة أيّ الأجزاء ينبغي أن يبدأ بها العلاج ليتم البرء والشفاء"[٢].

---

(١) الضروري في السياسة، ص ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.

٤- التقيد بتعليم صناعة واحدة فقط

إن المدينة الفاضلة باعتبار نظامها كنظام الجسد فإنّه لا يجوز أن نعلم الفرد أكثر من صناعة واحدة، ولقد أقر ذلك أفلاطون في جمهوريته: ".. كلا، وذلك إذا ما كان المبدأ الذي اتفقنا عليه حين أسسنا الدولة الصحيحة. فلعلك تذكر أنّنا اتفقنا على أنه من المحال على فرد واحد أن يجيد عدة حرف في آن واحد"(١). وابن رشد يقر ما أقره أفلاطون من ضرورة تعليم صناعة واحدة ويبرر ذلك بالمسائل التالية:

١- الإنسان معد بطبعه لتعلم صناعة واحدة فقط.

٢- الصناعة مرتبطة بالملكات المكتسبة منذ الصغر، وأن الطفل منذ صغره نستطيع أن نحدد أي الصناعات تتلاءم مع قدراته.

٣- إن إتقان العمل يكون فقط إذا كان المتعلم قد تعلم صناعة واحدة فقط.لذا يقول ابن رشد: "وأيضا فإن كثيرا من الصنائع تكون في وقت واحد، وتتداخل أوقات عملها، فيكون إتقان أكثر من صناعة ممتنعا ضرورة"(٢).

٤- إن تعدد الوظائف لدى المواطن الواحد ينتج عنه خلل في نظام المدينة.

٥- أنه يُستثنى من الصناعات الصناعة الحربية لكونها صناعة يتعلمها الجميع لحاجة المدينة إلى الحفظة.

٥- الكهولة تمام التربية

يتفق كل من أفلاطون وابن رشد على أن عملية التربية تبدأ مع الأحداث باعتبارهم أكثر قابلية للتعلم من غيرهم، وأن التربية تستمر ولا تنتهي إلا بانتهاء عمر الكهولة لأن ما حدث بفعل التربية لا بد أن تصقله التجربة والتي لا تكون إلا في سن

---

(١) أفلاطون، الجمهورية، ص ٧٨.

(٢) الضروري في السياسة، ص ٨٤.

الكهولة. وعليه فالتجارب زمن الكهولة تدخل في برنامج التربية عند ابن رشد، وهو نفسه الرأي الذي ذكره أفلاطون في كتابه النواميس (١).

٦- التربية تعلم وليس تذكر

من المعلوم أن أفلاطون يؤسس نسقه الفلسفي على مقولة أن الإنسان: "لا يتعلم وإنّما يتذكر" لكون النفس الكلية عند وجودها في عالم المثل كانت عارفة بالكليات، وأن الإنسان في العالم المادي لا يعرف الموجودات والأشياء بطريقة التعلم وإنّما يستطع أن يصل إليها وفق تداعي المعاني القائمة على عملية التذكر أصلا.

ومنه تصبح التربية عند أفلاطون ليست تعلما بقدر ما هي إحياء للملكات والصفات عن طريق وضع المُتربي في مجال التذكر. لكن ابن رشد يرفض المنطق الأفلاطوني منطلقا أن العملية التربوية لا بد أن تتأسس على فكرة التّعلم والتمرن، حتى تصبح التربية فعل إرادي وليس مجرد إحياء لما كان في عالم افتراضي.

ونستنتج من خلال المقدمات الإبستيمية لابن رشد أن فيلسوف قرطبة يحاول أن يضع نظرية متكاملة في التربية لإنقاذ المدن الإسلامية من ظاهرة شيوع تربية البيوتات.

إن التربية الناجحة هي التي تكون الدولة مسؤولة عنها تأطيرا وتوجيها، وأن تخضع في مضمونها المعرفي للعقل والشرع، لأنّه من الصعب تناغم الأفعال والفضائل في الأمم والمدن التي ترى أن الاشتغال بالعقل كفر، وأن انتحال الفلسفة فسق.

ثانيا: طرائق ومناهج التربية

عندما تحدث ابن رشد عن مناهج التربية انطلق من فكرة أن التعليم في المدينة الفاضلة لابد أن يمر بمرحلتين: الأولى تخص الأطفال دون تميز، والثانية تخص

---

(1) Schuhl; Pierre Maxime; L'œuvre de Platon, Librairie philosophique J.Vrin; Paris, 1984.P 184.

الراشدين والتي ينبغي أن تقسم إلى قسمين: الجمهور (= العامة)، والخاصة (=النخبة المفكرة). فأما الجمهور من حيث كونها مجرد قطيع بشري، وعيه معكوس، وعلمه مغشوش فيستدعي مناهج للتربية خاصة، ويشترك الأطفال والعامة في مناهج التعليم التي حددها ابن رشد على النحو التالي:

١- منهج الخطابة للعامة والبرهان للخاصة

كان الغزالي قبل ابن رشد قد صرح أن تعليم العامة وفق مناهج علم الكلام والفلسفة ضرب من الجهل بطباعهم، وعليه نهى أن يكون منهج تربية العامة مبني على منهج البرهان والجدل من خلال كتابه إلجام العوام عن علم الكلام.وهو نفسه الرأي الذي ذهب إليه ابن سينا: "إن البرهان قليل الجدوى في حمل الجمهور على العقد الحق والخطابة هي المتكلفة به(١)".

وابن رشد يرى أن عقل العامة إن صح التعبير من حيث فعل العقل ذاته لا تلائمه إلا الخطابة كمنهج للتربية والتعليم. لأن شر البلايا في المدينة طبقة العامة التي لا ينفع في عملية تعليمها إلا استعمال فن الخطابة كأسلوب للإقناع مستعملين فنون الشعر والرواية والأساطير. ولقد أدرك ابن رشد أن عقل العامة ينتمي إلى العقل السحري، وعليه فإن محاولة رفع العامة إلى مستوى النخبة عن طريق البرهان يعد مجرد عبث.ولقد استطاع السفسطائيون أن يتعاملوا مع العامة بالخطابة لعلمهم قدرة انجذابهم للكلام حتى وإن كان بلا برهان. أما الخاصة فإن الطريقة المثلى في التربية والتعليم هي استعمال أسلوب الإقناع بالبرهان لا بالبيان. ولقد وضح ابن سينا ذلك في كتابه الشفاء: "إن استدراج السّامعين بالأقاويل الخلقية والانفعالية تناسب صناعة الخطابة والجدل والصناعة المدنية، التي تبحث عن الأخلاق والسياسات"(٢).

---

(١) ابن سنا، الشفاء (المنطق ج٨)، تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٢٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

٢- منهج الإكراه

ويكون في موضعين مختلفين، موضع يخص التربية إذ يرى ابن رشد أن الإكراه سنة الأولين والمتقدمين، وهي من مسلمات تدبير المنزل، فالصبيان يؤدبون داخل نظام البيوتات بالإكراه في حالة عدم جدوى الموعظة والخطابة. ومن ناحية أخرى أنه في حالة وجود بعض النوابت في المدينة الفاضلة لابد أن تلجأ السلطة الحاكمة إلى منهج الإكراه لردعهم وإعادة إدماجهم من جديد في نظام المدينة: "أما الطريق الثاني فهو السبيل التي تسلك مع المتمردين والأعداء ومن لا يتحلى بما يجب له من الفضائل، وهي سبيل الإكراه والعقاب بالضرب(١)".

٣- منهج التكرار والمحاكاة

إن بعض الملكات لا يمكن أن تُكتسب إلا من خلال تكرارها في فترات إما متقاربة أو متباعدة، لأن العادة ترسخ الملكات وتسهل عملية التعلم، لكنها طريقة تنفع، لم يستطيعوا أن يتخطوا مرحلة الأنا الميتافزيائي، أي الأحداث المؤهلون حسب معدنهم النحاسي أو الحديدي لتعلم الحرف التي لا يمكن أن تحصل إلا بالتكرار والآلية.

أما المحاكاة فأسلوب يخص الصبيان وهو منهج شديد الخطورة، ينبغي على المربي والفيلسوف أن يضع له شروطا، لأن المحاكاة كثيرا ما تكون من مضادات التربية الفاضلة أصلا.

المبحث الثالث

البرنامج التربوي الرشدي..المراحل والكيفيات

إن التربية في المشروع الرشدي لا تختلف من حيث المراحل عن أفلاطون وإن كان هناك اختلاف في التقديم والتأخير، لكن يبقى العامل المشترك بينهما أن التربية تبدأ مع الأطفال باعتبارهم هم من تتحقق بوجودهم المدينة المرتقبة.

---

(١) ابن رشد، الضروري في السياسة، ص ٨٠.